يتحقق أمن البلدان العربية حينئذٍ؟ ألَم تترك البلدان النامية، بمجموعها، الاستعمار الابيض «يسرح ويمرح» زمناً طويلاً؟ هل تحقق أمن هذه البلدان بهذه الطريقة؟

ان التطوّرات الحالية في العالم، وفي المنطقة العربية، تحمل، في أحشائها، أخطاراً رهيبة متصاعدة على كل البلدان العربية، بل وعلى البلدان النامية عموماً. في الوقت عينه، ان أمن البلدان العربية لا يزال في مهبّ الريح؛ واذا لم يتحدث المرء عن الماضي، ولم يشر الى مسؤولية الدول العربية ذاتها في تفاقم الوضع الأمني في المنطقة، ووصوله الى الدرك الحالي، فلا بدّ من القول، ان مسؤولية الدول العربية الحالية هي كبيرة، وتنذر بتوفير المناخ الملائم لحلول أفدح الكوارث في المنطقة.

طبعاً، قيل الكثير؛ ويمكن قول الكثير، أيضاً، في هذا المجال. ولكن قد يكون من المفيد التركيز على ثلاث نقاط رئيسة.

الاولى هي ان أغلب الدول العربية تولي جلّ اهتمامها لـ «الأمن» الداخلي، بدلاً من «الأمن» الخارجي. ينتج عن ذلك أغلب السلبيات، التي يعيشها العرب في هذه الأيام. وهي ليست مجرد سلبيات. انها تدمير للطاقات العربية، وللحياة العربية العادية. من جملة ما ينتج عن ذلك عمليات القمع العربي ـ العربي، ممّا نسمع عنه. وغياب حكم القانون انما يتضمّن، أيضاً، هدر الامكانات البشرية، التي قد تكون مفيدة، وقد تكون نادرة.

الثانية هي ان الموقف الاعلامي العربي من الغزو الصهيوني للمنطقة العربية يتّصف، عموماً، بكونه تغطية (ونعتذر عن التشبيه) دون كيخوتية لسلم عاجز؛ وهو معاكس تماماً لنظيره الاسرائيلي المتّصف بأنه تغطية «سلمية» لعدوانية شرسة، تصل حدّ الابادة. عندما يهدّد الاعلام العربي ويتوعد، يتمنّى المرء ان يشاهد عصا حقيقية، تشهر ضد الخنجر الاسرائيلي؛ ولكنه عبثاً يحاول؛ الخنجر الاسرائيلي وحده في الميدان، يصول، ويجول، حينما يشاء في أكثر من منطقة عربية، وخصوصاً في لبنان والاراضي المحتلة.

لو كان هذا الجانب من الموقف الاعلامي العربي مجرد دردشة في سهرة خاصة، لما اكترث المرء، حينئذٍ، بمختلف النقاط الهشّة فيه، ويمكن ان يردّه المرء الى دافع الحماس، أو الى الغيرة والاخلاص الوطنيين، الخ. الدردشة الموجّهة غالباً الى الرأي العام العربي الداخلي تنتقل الى الاوساط الدولية ذات العلاقة؛ وتقوم هذه بتحليلها، والاستفادة منها على مختلف المستويات. فزّاعة «الأمن» الاسرائيلي، مثلاً، مبنيّة على التهديد والوعيد العربي. حرب العام ١٩٦٧، التي غيّرت الحدود في المنطقة العربية، كانت ذريعتها الدولية لدى اسرائيل هي التهديدات العربية غير الجدية، والتي ربما كانت الغاية منها مجرّد اعادة الوضع في سيناء الى حالته قبل عدوان العام ١٩٥٦.

لا يقتصر الامر على اعطاء اسرائيل سلاحاً اعلامياً، وعملياً، ضد العرب، وانما، أيضاً، يفصل هذا الجانب من الموقف الاعلامي العربي العرب عن مخاطبة أوسع قطاعات الرأي العام الدولي، ومن الجملة الرأي العام الاميركي، الذي بدأ يفهم لغة الانتفاضة الفلسطينية في الاراضي المحتلة، بينما بقي موصداً زمناً طويلاً في وجه الاعلام العربي، بل هو، حتى الآن، معاد، عموماً، للعرب، على الرغم من وجود الجالية العربية الكبيرة في الولايات المتحدة الاميركية.

لكن هناك ما هو أخطر من ذلك. ان هذا الجانب من الموقف الاعلامي العربي يدل على المسافة الفاصلة بين جدية الدفاع عن النفس، والحديث عنه. ان دفاع العرب عن أنفسهم هو